



مجلة البحث العلمي الإستراتيجي



مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

السنة التاسعة عشرة - العدد 59 - 2024-7-30م
Volume 19th - issue no. 59 - 30/7/2024

Pages: 171 - 189

الصفحات: 171 - 189

منزلة العقل عند الخوارج

The status of reason among the Kharijites

ضيف الله بن هليل بن هلال الجابري

Daifallah bin Hlayel bin Hilal Al-Jabri

اعتمادات



doi Foundation



باحث في العقائد والفرق الإسلامية

Researcher in Islamic beliefs and sects

Email: albar224@gmail.com

جميع الأبحاث / الأعداد المنشورة متوفرة على موقع المجلة الرسمي www.boukharysrc.com

عكار، شمال لبنان، ص.ب. طرابلس 208 جوال 0096170901783 - فاكس 009616471788 - بريد إلكتروني: albahs_alalmi@hotmail.com

ضيف الله بن هليل بن هلال الجابري

باحث في العقائد والفرق الإسلامية

Daifallah bin Hlayel bin Hilal Al-Jabri

Researcher in Islamic beliefs and sects

albar224@gmail.com

منزلة العقل عند الخوارج

The status of reason among the Kharijites

ملخص البحث

البحث سيتناول مسألة مهمة متعلقة بالخوارج وهي منزلة العقل عندهم، وسيبين البحث أن الخوارج أنزلوا العقل في غير منزلته، مما أحدث عندهم خلل في مصادر التلقي والاستلال، فقد جعلوا العقل مصدراً مستقلاً من مصادر التشريع، وتوهموا التعارض بين العقل والنقل، وهذا الأمر لا شك أن له آثاراً سيئة في فهم النصوص والتعامل معها، ومن أبرز هذه الآثار الإعراض عن الوحي، والمعارضة الصريحة للنصوص، استعمال الأقيسة الفاسدة، وجميع هذه المحاور تم دراستها في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية للبحث: منزلة- العقل - الخوارج

Research Summary

The research will address an important issue related to the Kharijites, which is the status of reason among them. The research will show that the Kharijites placed reason in a place other than its status, which created for them a defect in the sources of reception and extraction. They made reason an independent source of legislation, and imagined a contradiction between reason and transmission, and this is undoubtedly the case. It has bad effects on understanding texts and dealing with them, and among the most prominent of these effects is turning away from revelation, explicit opposition to texts, and the use of corrupt analogies, and all of these topics were studied in this research.

Search keywords: Status - mind - Kharijites

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الذي تساءلون بها والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.^(١)

أما بعد:

إن أكبر نعم الله تعالى التي أنعم بها على هذه الأمة، أن أكمل لها الدين، وأتم عليها النعمة، ورضي لها الإسلام ديناً، فبعث الله تعالى إلى هذه الأمة خاتم الأنبياء وإمامهم ﷺ، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فلما تباعد الزمان عن زمن النبوة والرسالة، انتشر الجهل، وظهرت البدع، وانتحل أقوام مقالات مخالفة لنصوص الكتاب والسنة، فكثرت المحدثات والمخالفات، ووقع ما أخبر به المصطفى - ﷺ - من أنه ستكون فتنة وفرقة واختلاف، وسيخرج قوم يستنون بغير سنته، ويهتدون بغير هديه.

ولا شك أن أصل النزاع بين أهل السنة والفرق الأخرى قائماً على تعظيم النص الشرعي، حيث اتفق أهل السنة على تعظيم النص، واتفق أهل البدعة وهم الفرقاء المتنافرون على عدم الرفع من شأن نصوص الشريعة، وكانت الخوارج هي أول فرقة رفعة شعار مخالفة النص وقدمت عليها الآراء والأهواء التي تملئها عقولهم، وقد عرف عنهم معارضة النصوص ومعارضة السلف، فلا تكاد تجد كتاباً من كتب المقالات أو من كتب العقائد الإسلامية إلا ويذكر مخالفة الخوارج للكتاب والسنة وعموم الأمة، ثم إن الأمر الذي أورد الخوارج الموارد، وأوقعهم فيما وقعوا فيه هو اعتمادهم على العقل؛ وذلك أنهم أنزلوا العقل منزلة جعلت منه المشرع الحقيقي لهم فما وافق أهواءهم من النصوص غلوا فيه - مثل نصوص الوعيد -، وما خالف أهواءهم من النصوص جفوا عنه - مثل نصوص الوعد -، فمنزلة العقل عند الخوارج تحتاج إلى مزيد دراسة وبيان.

الأهمية العلمية للموضوع

ترجع الأهمية العلمية للموضوع لأمر عديدة من أهمها ما يلي:

١- إسهام البحث في معرفة حقيقة مذهب الخوارج وخطورته، ومدى انحرافه ومفارقته للمنهج الحق، والحذر من اتباعه.

٢- بيان أن تتطوع الخوارج في استعمال النصوص لا يعني التعظيم لها، ففِرَّق الخوارج تقدم

(١)

على النصوص نتاج عقولهم.

٣- يبين البحث سيطرة العقل والآراء والأفكار البشرية على المناهج المخالفة للحق.

أسباب اختيار الموضوع

أسباب اختيار الموضوع عديدة ومن أبرزها وأهمها ما يلي:

١- أن البحث المحكم من متطلبات إتمام مرحلة الدكتوراه، وقد وقع اختيار هذا الموضوع لأهميته العلمية والعملية.

٢- الحاجة ماسة إلى معرفة أصل الخلل عند الخوارج؛ وذلك لأنها من أكثر الفرق تأثيراً في الأمة، وأنها مستمرة في الخروج حتى يخرج آخرهم مع الدجال.

٣- أن المادة العلمية لهذا الموضوع تحتاج إلى جمع ودراسة.

الدراسات السابقة

الدراسات السابقة المتعلقة بالخوارج كثيرة جداً، إلا أنه وبعد سؤال المختصين، لا توجد دراسة سابقة تتعلق بموضوع (منزلة العقل عند الخوارج).

ومن أهم الدراسات القريبة من هذا الموضوع، على سبيل الإجمال ما يلي:

١- (منزلة العقل عند السلف)، بحث ترقية، إعداد: عبد الله الغفيلي، وهو بحث مهم في بابيه إلا أنه يختلف في مضمونه عن دراستي المقدمة.

٢- (العقل بين الغالي والجافي فيه دراسة عقديّة في ضوء القرآن الكريم)، رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى، إعداد: سلوى بنت بطيح المسعودي، وهذه الرسالة تعنى بالغلو والجفاء العقلي بمسائل التوحيد ومسائل القدر ومسائل اليوم الآخر، فهي مهمة في بابها إلا أنها تختلف في مضمونها عن دراستي المقدمة هنا، فهي لم تتطرق للخوارج ولا منزلة العقل عند الخوارج.

منهج البحث

سأسير في هذا البحث وفق المنهج الاستقرائي والتحليلي، وفق الإجراءات التالية:

١- جمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع بحسب ما تقتضيه الحاجة في بيان المادة العلمية، ثم تقسيمها وترتيبها حسب ما هو مدون في الخطة.

٢- عزو الآيات القرآنية أو أجزائها الواردة في البحث، إلى سورها مع ذكر رقم الآية في السورة، وكتابتها بالرسم العثماني.

٣- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما، وإن لم يكن الحديث فيهما خرجته من كتب الحديث المعتمدة، مع ذكر حكم العلماء عليه.



- ٤- عزو الآثار الواردة في البحث إلى مصادرها.
- ٥- عزو الأقوال إلى قائلها مع توثيقها من مصادرها الأصلية، فإن لم يمكن فبالواسطة مع الإشارة إلى ذلك.
- ٦- الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.
- ٧- شرح الألفاظ الغريبة الواردة في البحث.
- ٨- ترجمة الأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة عند أول ذكر لهم، وعدم الإحالة عند التكرار.

خطة البحث

- يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة.
- المقدمة: فيها الافتتاحية وبيان أهمية الموضوع وذكر أسباب اختيار الموضوع والدراسات السابقة وتقسيم المشروع، ومنهج البحث.
- المبحث الأول إنزال العقل في غير منزلته عند الخوارج، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: جعل العقل مصدراً مستقلاً من مصادر التشريع.
المطلب الثاني: توهم التعارض بين العقل والنقل.
- المبحث الثاني: الآثار المترتبة على منزلة العقل عند الخوارج، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: الإعراض عن الوحي.
المطلب الثاني: المعارضة الصريحة للنصوص.
المطلب الثالث: استعمال الأقيسة الفاسدة.
- خاتمة وفهارس.

المبحث الأول إنزال العقل في غير منزلته عند الخوارج، وفيه مطلبان :

المطلب الأول

جعل العقل مصدراً مستقلاً من مصادر التشريع.

إنَّ من طالعِ كُتُبِ الفرقِ وتتبع مقالاتهم والأخبارَ المنقولةَ عنهم، يظهرُ له وقوعهم فيما يخالف نصوص الوحي والتحرُّج منها، وذلك بين، فكل من تصور معتقداً خالف فيه الكتاب والسنة كان ولا بد أن يعتمد على عقله لتقرير ما يراه حقاً، ولذلك صار لكثير منهم آراءٌ وأقوالٌ خالفوا فيها نصوص الوحيين، تتضمَّن أحياناً تنقُّصها والقدح فيها، أو تستلزم ذلك أحياناً أخرى، ومع أنَّ أكثرهم لم يريدوا ذلك الطعن في الكتاب والسنة، لكنَّ شؤم الافتراق والبعد عن الحق جرَّهم إلى هذا وألزمهم بتلك اللوازم.

ولا ريب أن الاعتماد على العقل وحده في تقرير الشرع هو مقدمة للإعراض عن شرع الله ووحيه، وهذا من أعظم أسباب الضلال؛ بل هو الفارق الرئيس بين أهل الحق وأهل الضلال على اختلاف أنواعهم وملهمهم، هو منهجهم تجاه ما جاء به الوحي قبولاً أو إعراضاً، فالحق كل الحق أن يجعل ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو المقدم في القول والعمل والعقائد، وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل وقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «جماع الفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغى، وطريق السعادة والنجاة وطريق الشقاوة والهلاك: أن يجعل ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والإيمان، فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل»^(١).

وأما معارضة القرآن بمعقول أو قياس فهذا لم يكن يستحله أحد من السلف وإنما عرف عن أهل الأهواء، فإنهم لما بنوا أصول اعتقادهم وردوا القرآن إليها وجدوا تعارضاً بين القرآن وبينها، وحالهم إذ تعارض العقل والشرع إما أن يفوض الشرع حتى يسلم ما عقلناه، أو يتأول حتى يوافق ما عقلناه، فهؤلاء من أعظم المجادلين في آيات الله بغير سلطان أتاهم^(٢)، فالأصل الذي يقوم عليه الدين كله جملة وتفصيلاً هو التسليم لنصوص الشريعة، وهذا ما تقتضيه النصوص ويقتضيه العقل السليم، وتقتضيه الفطرة، ثم إن العقل السليم يوافق النقل الصحيح ولا يمكن أن يتعارض، وإنما التعارض يكون وهمًا عند بعض الناس، وهذا الوهم ينبغي ألا يسلط على الدين، ويفسد حقيقة التسليم لرب العالمين، ولهذا كان عامة الخائضين فيه بمجرد رأيهم إما متنازعين

(١) مجموع الفتاوى، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م (١٣/١٣٥-١٣٦).

(٢) انظر: الاستقامة، المؤلف: أبو العباس أحمد بن تيمية، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ (١/٢٣).

مختلفين، وإما حيارى متهوكين، وغالبهم يرى أن إمامه أحذق في ذلك منه، ولذلك تجدهم عند التحقيق مقلدين لأئمتهم وكبرائهم فيما يقولون: مع أن كثيراً منهم قد يرى بعقله نقيض قوله^(١). ثم هنا أمر لا بد من التنبه له وهو أن عموم الفرق المخالفة على اختلاف عقائدها نجد أن عندهم تصورات عقلية سواء ابتدعوها أو ورثوها عن أسلافهم، وهذه التصورات يرون أنها هي الدين وحقيقة الشرع المنزل من رب العالمين، وما خالفها فليس من الدين في شيء، فلما عرضت عليهم نصوص الوحي توهموا التعارض، وياليت شعري أنهم راجعوا التصورات العقلية التي يرون أنها حقيقة ما دل عليه الشرع، بل عادوا إلى النصوص الشرعية بالإبطال، «فصاحب البدعة لما غلب عليه الهوى مع الجهل بطريق السنة، توهم أن ما ظهر له بعقله هو الطريق القويم دون غيره، فمضى عليه، فحاد بسببه عن الطريق المستقيم، فهو ضال من حيث ظن أنه راكب للجدادة»^(٢)، وهناك فرق بين مُطْلَق الحِجَاجِ العَقْلِيِّ، وبين الحِجَاجِ على طريقة تفضي إلى إبطال النصوص والتي تكثُر فيها الإجمالات المُلبِسة، والاصطلاحات المُحدثة، فالذي يمارس الحِجَاجِ العَقْلِيَّ بَقْطَع النَّظَرِ عن مذهبه، إما أن يكون مصيباً أو مخطئاً ولا يعرف الصواب والخطأ إلا إذا عرض الأمر على الكتاب والسنة.

ثم إن المتتبع لآراء الخوارج ومقالاتهم يجد أن الأصل الأكبر عندهم الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم، وتكفيرهم^(٣)، وهذا الأصل إنما هو من نتاج عقولهم، فقرروا هذا الأصل وجعلوا العقل مصدراً عليه، وتعاملوا مع النصوص وفهموها على وفق هذا الأصل، فهذا الأصل ظهر معهم ولا زال مرتبطاً بهم على تعدد فرقهم، إلى قيام الساعة كل ما خرج قرن قُطِعَ حتى يخرج آخرهم مع الدجال، وبعض الفرق الأخرى تأثرت به.

فالخوارج من بداية ظهورهم في زمن علي رضي الله عنه إلى يومنا هذا وهم يكفرون الأئمة ويخرجون على جماعة المسلمين، يقول شيخ الإسلام في حق الخوارج: «بَلْ أَعْظَمُ أَصُولِهِمْ عِنْدَهُمُ التَّكْفِيرُ وَاللَّعْنُ وَالسَّبُّ لِخِيَارِ وِلَاةِ الْأُمُورِ»^(٤) فهم من أشد الفرق خطورة وضرراً على الإسلام وأهله، وذلك لوقوع التلبيس منهم وإثارة الشبهات، حتى يصوروا الباطل في صورة الحق والنصح والجهاد وإنكار المنكر، فيغتر بهم أقوام، وتتطلي شبهاتهم على سفهاء الأحلام وحدثاء الأسنان، وتشبه الأمور على كثير من الناس، ويستميلوا العواطف ومحبة الناس للدين، فخرجوا على أئمة

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: أبو العباس ابن تيمية تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م (١/ ١٥١)، وانظر: الاعتصام، المؤلف: إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي، تحقيق ودراسة: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، وآخرون، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م (١/ ٢٣٤).

(٢) الاعتصام للشاطبي (١/ ٢٣٤).

(٣) وقد حكى البغدادي (ت ٤٢٩) ذلك الإجماع، انظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧ (ص: ٥٥).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٨٨).

المسلمين، واستحلوا الحرمات، ونشروا الرعب والخوف في المسلمين، وسلطوا الأعداء على المسلمين، وشوهوا صورة الإسلام والدين، وصدوا عن سبيل الله عز وجل.

فمبدأ أمرهم تصوروا الدين بعقولهم وجعلوا كل ما يخالف هذه الصورة التي رسموها في عقولهم ليس من الدين، فأظهروا الإنكار على أمور منكرة وأخرى ليست بمنكرة، واعترضوا على ولاة الأمور كما فعلوا مع علي رضي الله عنه في مسألة التحكيم، ونهاية أمرهم إلى الخروج من الدين والمروق منه؛ ولذلك كان استحلالهم للدماء المعصومة نتيجة حتمية، فالذي قتل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - منهم، واسمه عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم المرادي الحميري ثم الكندي وهو رجل عربي كان يقرأ القرآن ويتعبد ولكنه اعتبر ما ليس ذنباً ذنباً فكفر الإمام علي بن أبي طالب ثم قام باغتياله^(١).

وقد توسعوا في مسألة التكفير والخروج حتى فارقوا الأمة، فكل من انتهج منهج الخوارج نجد أن تصوره العقلي هو المصدر الأساسي في تدينه وفهمه للنصوص الشرعية، وهذا المصدر موجود عند الخوارج المعاصرين كما وجد في أسلافهم.

فالمجتمعات الإسلامية اليوم في نظر المتأثرين بمنهج الخوارج مجتمعات جاهلية، ولا يُستثنى من ذلك أحد^(٢) وليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم بزعمهم^(٣)، وقد ذكر صاحب كتاب العمدة أن الحكام على بلاد المسلمين مرتدين خرجوا من دائرة الإسلام وكذلك أعوانهم ومن رضي بهم، وعلى كل مسلم من غير ذوي الأعذار الشرعية جهاد هؤلاء الطواغيت، فجهادهم فرض عين، هو من العلم الواجب إشاعته في عموم المسلمين، ليعلم كل مسلم أنه مأمور شخصياً من ربه سبحانه بقتال هؤلاء^(٤).

ومن طالع كتب الفرق والمقالات والتاريخ الإسلامي يجد أن المصدر الأساسي عندهم التصور العقلي، وهذا أمر ظاهر عند الخوارج المتقدمين منهم والمعاصرين على حد سواء لا ينفك عنهم أبداً.

(١) انظر: الثقات لابن حبان، المؤلف: أبو حاتم بن حبان، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م (٢/ ٣٠٢)، البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م (٧/ ٣٦١)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي الجزري، عز الدين ابن الأثير، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م (١/ ٨٠٤)، الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م (٦/ ١١١ - ١١٢)، والإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ (٥/ ١٠٩).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب، الناشر: دار الشروق، تاريخ الطبعة ١٤٢٣هـ (٤/ ٢١٢٢).

(٣) انظر: نفس المصدر (٤/ ١٨٦٦).

(٤) انظر: العمدة في إعداد العدة، عبد القادر عبد العزيز، موقع جامع الكتب الإسلامية (١ - ٢٠٩) 3-328-https://ketabonline.com/ar/books/27992/read?page=328&part=1#p-27992

المطلب الثاني

توهم التعارض بين النقل والعقل

عندما يرد اسم الخوارج يتبادر إلى أذهان البعض أنها فرقة بالغة في التمسك بالنصوص حتى تجاوزت الحد في ذلك، وكثير من فرق الخوارج كانت وما زالت تزعم أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بمقتضى الشرع، وكانت في بداية أمرها تزعم أن مصدرها ومنبعها من القرآن والسنة النبوية، وفي الحقيقة أنهم فسروا وأولوا القرآن الكريم على حسب أهوائهم وأرائهم الباطلة، واستمر الأمر معهم إلى الزمن الحالي حيث نجد أن الرأي مصدر من مصادر التشريع عندهم، ويتعصبون لهذا الرأي ويوالون عليه ويعادون عليه، ويعملون جاهدين لتطويع النصوص لموافقته، وقد يكون هذا الرأي ما ذهبوا إليه من تأويل النصوص، وقد يكون نابعاً من الجهل بالنصوص الشرعية وعدم معرفة مقاصد الشرع الحكيم، وهذا ظاهر جداً، فكل فرقة من فرق الخوارج ينصبون قولاً ويتصورون أنه الحق وإذا بهذه الفرقة تنقسم إلى فرق عديدة، اختلفوا وتفرقوا في ذلك.

بل إن البذرة الأولى للخوارج كانت تحمل هذه السمة، فعندما جاء ذلك الرجل الذي يدعى ذو الخويصرة توهم أن تقسيم النبي ﷺ لبعض الأموال والذي هو وحي من الله، توهم أنها تعارض العدل الذي شرعه الله وأمر به رسله، فهذه أول سمة ظهرت من رجل كان يحمل فكر الخوارج في زمن التشريع والوحي، فلما قسم النبي ﷺ القسمة «فقال رجل: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «ألا تأمنوني؟ وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً» قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، مخلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله، اتق الله، فقال: «ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله» قال: ثم ولي الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ فقال: «لا، لعله أن يكون يصلي» قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: «إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم» قال: ثم نظر إليه وهو مقف، فقال: «إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله، رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» قال: أظنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»^(١)، فهذا الرجل توهم تعارضاً بين ما فعله النبي ﷺ وبين ما يراه أنه مقتضى الشرع والعدل، ففكرة توهم المعارضة بين الشرع والعقل موجودة عند الخوارج، ومن الأمور التي ليست بغريبة أن الإباضية من الخوارج يرون أن هذا الحديث موضوع ولا يصح، وذكروا أسباباً كلها تدور حول شخصية الرجل المعترض على قسمة رسول الله، فهم يرون أن الرجل هو حرقوص بن زهير السعدي^(٢)، وهذا الرجل عندهم له مكانة

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، ح(١٠٦٤).

(٢) رأس من رؤوس الخوارج الذين كانوا في زمن علي رضي الله عنه، وقد شارك قبل ذلك في فتنة قتل عثمان رضي الله عنه فإنه

كبيرة فهو من أبرز من اعترض على مسألة التحكيم وكان له آراء سديدة وآثار حميدة كما يقولون، ولذلك لا يتصور عقلاً أن يعترض على رسول الله، والأحاديث لا يبعد أن تكون مصنوعة^(١)، هكذا قالوا.

ثم إن حال الخوارج من بداية ظهورهم إلى يومنا هذا وهو يدل على توهمهم التعارض بين المعقول والمنقول، فمقدمهم اعترض على الرسول ﷺ، لتوهم تعارض بين ما فعله الرسول وبين تصويره للعدل الذي جاء به الشرع، ثم نجد نفس الطريقة ونفس التصور ونفس الفكرة مارسها أسلافهم مع عثمان ذي النورين، حتى خيروه بين أن يخلعوه أو القصاص أو القتل، هذا الحكم الشرعي الذي يستحقه عثمان رضي الله عنه في رأيهم وتصور عقولهم، بينما الحكم الشرعي ما نطق به عثمان فقال: ما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله، والنبى ﷺ أمره ألا ينزع، ثم هؤلاء الفوغاء يتأولون القرآن على السلطان^(٢)، والإباضية من الخوارج يذكرون أن عثمان فعل ما هو مخالف للشرع ويستتاب عليه^(٣)، فالخوارج ضاقت مداركهم وتصوراتهم على عثمان رضي الله عنه ولاشك أن الشرع الحكيم أمر السلطان بأداء الأمانات إلى أهلها وإقامة شرع الله، وعثمان رضي الله عنه لا يشك في نزاهته وعدلته إلا صاحب هوى، فقد اجتهد في إقامة ما أمره الله به، والخوارج توهموا أن ما فعله عثمان يعارض الشرع.

فالحقيقة أن الخوارج لهم تصورات وآراء عقلية توهموا فيه التعارض بينها وبين الشرع، فإما أن يكون الخلل في العقلية أو في الشرعيات، وغالباً ما تخرج أفكارهم وآراؤهم في وقت الفتن والأزمات، فعند مسألة التحكيم التي اجتمع عليها المسلمون لحقن الدماء بينهم في زمن علي رضي الله عنه، توهم الخوارج أن هذا الأمر يخالف ويعارض الشرع - الشرع الذي يتصورونه بعقولهم - وقالوا: حكمت في دين الله الرجال إن الحكم إلا لله، ولما ناظرهم ابن عباس رضي الله عنه فبين لهم فساد شبههم، وفسر لهم، رجع منهم ناس كثير^(٤)، أما من لم يرجع من الخوارج فرتب على مسألة التحكيم هذه عقائد كثيرة من أعظمها تكفير علي رضي الله عنه..

لما خرج أهل البصرة متوجهين للمدينة كان عليهم حرقوس بن زهير السعدي. انظر: تاريخ الطبري، المؤلف: محمد بن جرير الطبري، وكتاب: صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، الناشر: دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ (٢/٦٥٢)، وتاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، المحقق: عمرو بن غرامة العمري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م (٢٩/٣١٧)، وسير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م (راشدون/٢٨٣).

(١) انظر: طبقات المشائخ بالمغرب، شيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الديني، حققه وقام بطبعه، إبرام طلائي، الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (راشدون/١٩٧).

(٣) انظر: الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية، ابن سلام الإباضي، تحقيق: ر. ف. شفارتز وسالم بن يعقوب، دار اقرأ للنشر والطباعة والتوزيع (١٢٥).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (راشدون/٢٧٩).

وكذلك كتب الفرق والمقالات مليئة بأراء الخوارج وهذه الآراء هي نتاج عقولهم، وما دونت هذه الآراء إلا لغربتها وتعارضها مع الشرع، وأصدق من ذلك أن النبي ﷺ ذكر أن من أوصافهم بأنهم «سفهاء الأحلام»^(١)، أي أن عقولهم رديئة^(٢)، فتجد كثيرًا منهم مجتهدًا في العبادة مع جهل مطبق في شرائع الدين^(٣)، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان^(٤)، فمعارضة العقل للشرع موجود عند الخوارج المتقدمين منهم والمتأخرين.

المبحث الثاني:

الآثار المترتبة على منزلة العقل عند الخوارج، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإعراض عن الوحي

إن من الصفات التي تدل على أهل الأهواء إعراضهم عن كتاب ربهم وعن سنة نبيهم ﷺ، وتقديم ما سواها في الاستدلال، مما نتج عنه فساد الاعتقاد لديهم؛ وذلك لأنهم لما رأوا ما أوحى الله به إلى رسوله ﷺ، ورأوا أنه يخالف مفاهيمهم العقلية وظنوا أن ما تعلقوا به وتصوروه هو الحق، رغبوا عن اتباع الوحي الإلهي وعدلوا عنه إلا ما وافق أهواءهم، واتبعوا آراءهم وأهواءهم المختلفة فخرجوا بذلك عن الصراط المستقيم الذي أمر الله عباده أن يتبعوه، وخالفوا الوحي مخالفة صريحة، بل صار الوحي لا قيمة له في الاستدلال إلا إذا شهدت له أهواؤهم، يقول ابن القيم رحمه الله: «كل من لم يقر بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بعد أن يقوم على صحته عنده دليل منفصل من عقل أو كشف أو منام أو إلهام لم يكن مؤمنًا به قطعًا»^(٥).

فكل من أعرض عن الوحي لا شك أنه تقوّل على الله بلا علم، وهذا من أشد المحرمات تحريمًا، وأعظمها إثمًا، « فإنه يتضمن الكذب على الله، ونسبته إلى ما لا يليق به، وتغيير دينه وتبديله، ونفي ما أثبتته وإثبات ما نفاه، وتحقيق ما أبطله وإبطال ما حققه، وعداوة من والاه وموالاته من عاداه، وحب ما أبغضه وبغض ما أحبه، ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله، فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه، ولا أشد إثمًا، وهو أصل الشرك والكفر، وعليه أسست البدع والضلالات، فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم، ولهذا اشتد

(١) رواه البخاري، كتاب: المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج (٣٦١١)، ورواه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: التحريض على قتل الخوارج، (١٠٦٦).

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ. (٢٨٧/١٢).

(٣) انظر: الإيمان الأوسط، المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المحقق: محمود أبو سن، الناشر: دار طيبة للنشر - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ (ص: ٢٧).

(٤) رواه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب قول الله تعالى: وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُم هُودًا...، ج (٣٢٤٤)، ورواه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: التحريض على قتل الخوارج، (١٠٦٦).

(٥) الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة، المؤلف: شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: علي بن محمد الدخيل، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ (١١٦٧/٢).

نكير السلف والأئمة لها، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا فتنهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش، والظلم والعدوان، إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد»^(١)

ثم إن الخوارج من أشد أهل البدع اتباعاً للأهواء بسبب معارضتهم صحيح المنقول بشبهاتهم التي أدت بهم إلى اتباع أهوائهم، « فلا تجد قط مبتدعاً إلا وهو يحب كتمان النصوص التي تخالفه، ويبغضها، ويبغض إظهارها وروايتها والتحدث بها، ويبغض من يفعل ذلك، كما قال بعض السلف: ما ابتدع أحد بدعة إلا نزع حلاوة الحديث من قلبه»^(٢) فضلوا بذلك عن صراط الله المستقيم وفسدت عقائدهم علماً وعملاً، ففسدت قوتهم العلمية، كما فسدت بهذا المسلك قوتهم العملية فلا علم ولا عمل، وهذا نتيجة من يعارض وحي الرحمن فإنه لا بد أن يفسد اعتقاده علماً وعملاً.

الخوارج أول ما خرجوا زمن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، كان لهم من الصلاة، والصيام، والقراءة، والعبادة، والزهد الشيء الكثير، مما لا يمكن تصور أن يعرض مثل هؤلاء عن الوحي، لكن كانوا معرضين عن الوحي إعراضاً جعلهم يقتلون المسلمين، وأغاروا على دواب المسلمين، وهذه البدعة هي أول البدع ظهوراً في الإسلام، وأظهرها ذماً في السنة والآثار، فالخوارج لم يعارضوا الوحي إلا بمقدمات، ومقدمات بدعتهم: سوء الفهم لمراد الله ورسوله ﷺ، فهم لم يقصدوا مخالفة الكتاب، ولكن فهموا منه ما لم يدل عليه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكانت البدع الأولى مثل «بدعة الخوارج» إنما هي من سوء فهمهم، للقرآن، لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب، إذا كان المؤمن هو البر التقي. قالوا: فمن لم يكن براً تقياً، فهو كافر، وهو مخلد في النار»^(٣).

المطلب الثاني:

المعارضة الصريحة للنصوص

الخوارج في أول أمرها لم تتجاوز أصولها مسائل معدودة مع قلة أصولها في بداية الأمر، وكانوا قريبين من الحق - ليس مثل متأخريهم - إلا أن هذه السمة ظهرت جلية في الخوارج، فقد جاءت نصوص كثيرة تدل على أن عثماناً وعلياً رضي الله عنهما في الجنة، واعترضت الخوارج وتفكروا بعقول سقيمة وعارضوا النص وقالوا بكفر عثمان وعلي رضي الله عنهما، وقالوا بالإكفار

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتمد بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م (١/ ٣٧٨).

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (١/ ٢٢١).

(٣) مجموع الفتاوى ابن تيمية (١٣/ ٢٠).

بارتكاب الذنوب ووجوب الخروج على الإمام الجائر^(١)، مع توافر النصوص المخالفة لقولهم، ولا يمكن لقائل أن يقول إن النصوص لم تبلغهم، بل بلغتهم، ولا أدل من تذكير عثمان لهم بها لما حاصروه ثم أعرضوا عنها وأدخلوا عقولهم السقيمة في تقرير الحق الذي يروونه^(٢).

ومن الأمور المشتهرة عن الخوارج تمسكهم بنصوص الوعيد وإعراضهم عن نصوص الوعد، فكفروا بذلك أكابر الصحابة الذين هم رواة السنة، فصاروا يعتمدون في تقرير أصولهم على ظواهر النصوص القرآنية، ويردون من السنة ما خالف -بزعمهم- ظاهر القرآن، بل يعدلون عن السنة المتواترة إذا كانت تخالف هذا الظاهر، يقول شيخ الإسلام: «وإذا عرف أصل البدع، فأصل قول الخوارج أنهم يكفرون بالذنب، ويعتقدون ذنباً ما ليس بذنب، ويرون اتباع الكتاب دون السنة التي تخالف ظاهر الكتاب، وإن كانت متواترة، ويكفرون من خالفهم، ويستحلون منه لارتداده عندهم ما لا يستحلونه من الكافر الأصلي»^(٣)، حتى وصل بهم الأمر أن يجوزوا على الرسول نفسه أن يجوز ويضل في سنته، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته لوقال بخلاف مقالته^(٤)، ثم توسع الأمر عند كثير من الخوارج وعارضوا القرآن وخالفوا الوحي، وقالوا أقوالاً لا تدع مجالاً للشك في كون الخوارج عارضوا الوحي الصحيح الصريح، حتى ذكر أصحاب المقالات والفرق عن بعض فرق الخوارج أقوالاً شديدة الغرابة فمنهم من قال: إن الصلاة ركعة بالغداة وركعة بالعشي فقط^(٥)، ويحكى عن بعضهم أنهم ينكرون أن تكون سورة يوسف من القرآن، ويزعمون أنها قصة من القصص وقالوا: لا يجوز أن تكون قصة العشق من القرآن^(٦)، فالإعراض عن الوحي موجود ظاهراً في مقالات الخوارج في القديم والحديث، فالوحي لا يحصل به العلم عندهم من جهة نقله، إنما حصل من جهة موافقته للعقل، وقد شوهد كثير ممن روج لمذهب الخوارج في البلدان العربية عبر وسائل الإعلام من يمثل هذا الأمر، فعندما تذكر لهم نصوص السمع والطاعة تجد أنهم لا يتقبلونها ولا يرضون بها، وبعضهم يرى أن السمع والطاعة للإمام فيه ظلم على الرعية، وبالتالي يزعم أن النبي ﷺ لم يقل هذه الأحاديث، أو يتكلم في الخبر المنقول عن الرسول بفهمه هو لا بفهم السلف ولا بفهم العلماء الذين شرحوا السنة، فما تستحسنه عقولهم قالوا به وما استتبعته تركوه، وقد حكى بعض أهل العلم أنهم أول من أورد مسألة التحسين والتقيح العقليين

(١) انظر: الفرق بين الفرق (ص: ٥٥).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٢٦٥)، والبداية والنهاية (٧/ ١٩٩).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٣٥٥).

(٤) انظر: المرجع السابق (١٩/ ٧٣).

(٥) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة (٢/ ٩٠).

(٦) انظر: الفرق بين الفرق (ص: ٢٦٥)، والفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة (٢/ ٩٠)، و الملل والنحل، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي. (١/ ١٢٨).

في الإسلام^(١)، وكل ذلك يدل على إعراضهم عن الوحي.

فهذا حال الخوارج يقررون مسائل كثيرة على وفق ما تتصور عقولهم، فمن نظر إلى كتب المقالات وجد أن الخوارج حفظت عنهم آراء وأقوال مخالفة لصريح النصوص الشرعية كلها مبنية على تصوراتهم العقلية، فكفروا من يخالفهم، وزعمت طائفة منهم أن دار مخالفيهم دار كفر يجوز فيها قتل الأطفال والنساء، واشتهر عن بعضهم إنكار بعض الحدود كرجم من زنى وهو مُحصن وأستحلوا كفر الأمانة التي أمر الله تعالى بأدائها وقالوا إن مخالفينا مشركون فلا تلزمنا أداء أمانتهم، ولم يقيموا الحد على قاذف الرجل المحصن وأقاموه على قاذف المحصنات من النساء وقطعوا يد السارق في القليل والكثير من المنكب ولم يعتبروا في السرقة نصابين^(٢)، وغيرها من الآراء، والتي من طالعتها تبين له جلياً معنى قول رسول الله ﷺ في وصفهم «سفهاء الأحمال»^(٣).

ولما طال عليهم الأمد تجارت بهم الأهواء وتفرقت بهم السبل حتى أدخلوا العقل فيما لا مدخل له فيه، فقالت طوائف من الخوارج في القرآن والرؤية بقول الجهمية، وفي الصفات بقول المعتزلة، وخاضت في القدر والسمعيات، وتكلموا في دقائق المسائل على طريقة المتكلمين، فابتعدوا عن القرآن والسنة واتخذوا العقل والرأي مصدراً أصيلاً لهم^(٤)، ومما يدل على ذلك ما يقرره الإباضية الخوارج من جعل العقل أصلاً يعتمد عليه عند إثباته القول بخلق القرآن فيقولون «فإن إنكار خلق ما علم أنه مخلوق بضرورة العقل وتواتر النقل وإحاقه بالله تعالى في القدم.. لا يسوغ بحال، فكيف والدافع إليه ليس إلا خشية سطوع شمس الحقيقة وتبخرب ضباب الأوهام، التي أرادوها أن تكون ستاراً بين المعقول ودركها الحقائق»^(٥). فمعارضة الدليل النقلي من سمات الخوارج، مع أن الواضح وضوح الشمس أن الأدلة النقلية والعقلية تثبت أن الله وأسماءه وصفاته غير مخلوقة، فدلالة العقل عندهم ليست منضبطة إلا بضابط الهوى، وهذه السمة مطردة عند الخوارج في القديم والحديث، فكثير من المسائل يقررونها على وفق ما تدلهم عقولهم، فمسائل الإيمان والتي غالطوا فيها الأمة وترتب عليها ما ترتب، نجد أنهم يرون أن معناه واضح عند من يفهم عن الله وعن رسوله ﷺ، فإن الإيمان عندهم لا يوزن بالمتاقل ولا غيرها؛ لأن الإيمان

(١) وقد حكى ذلك عن ابن الجوزي. انظر: الخوارج تاريخهم وأراؤهم الاعتقادية، المؤلف: غالب عواجي، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ. (٢٢٠).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المؤلف: أبو الحسن الأشعري، المحقق: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (١/ ٨٥)، والفرق بين الفرق (ص: ٦٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٤٤)، والملل والنحل (١/ ١١٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب: المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح (٣٦١١)، ورواه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: التحريض على قتل الخوارج، (١٠٦٦).

(٤) انظر: مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، المؤلف: ناصر العقل، النشر دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ. (١٣٤).

(٥) الحق الدامغ، المؤلف أحمد الخليفي، الناشر: بدون، تاريخ النشر، ١٤٠٩هـ (١٢٩).

عرض لا يتصور عقلاً وزنه، خصوصاً الإيمان الاعتقادي^(١)، فيقررون مسائل كبار ويعارضون النصوص لأن العقل لا يتصورها.

بل وصل الأمر بمفكري الخوارج ومنظريهم ممن سلك مسلك المتكلمين أن ينفوا عن الله ما أخبر به عن نفسه من صفات الكمال؛ لأن العقل دل على ذلك فقد جاء في كتاب مشارق أنوار العقول أن إثبات العلو لله يلزم منه أن يكون ذلك المكان تحته، ولزم أن يكون له فوق مقابل لتلك الجهة التحتية ولزم أن يكون له جهات أربع آخر، فالعقل لا يجوز انفكاك الحال من تلك الجهات بل هي لازمة له عقلاً، وما جوز العقل عليه ذلك فهو عاجز^(٢)، والنتيجة الحتمية لهذه المقدمة الفاسدة أن لا يوصف الرب بالعلو ولا أنه على العرش استوى مع أن النصوص قد صرحت بذلك.

المطلب الثالث:

العمل بالقياس الفاسد

يعد القياس نوعاً من أنواع الأدلة العقلية، وقد جاء في نصوص الشرع ما يدل على استعماله في إقامة الحجة، فهو دليل معتبر شرعاً، والأصل أن لفظ القياس لفظ مجمل، يدخل فيه القياس الصحيح والفاسد، ثم إن القياس الصحيح ما وردت به الشريعة، ودلت عليه ويفهم من نصوصها، وهو الجمع بين المتماثلين والفرق بين المختلفين، وهو من العدل الذي بعث الله به نبيه ﷺ، فالقياس الصحيح لا تأتي الشريعة بخلافه قط، وليس من شرط القياس الصحيح أن يعلم صحته كل أحد.

فمن رأى شيئاً من نصوص الشريعة مخالفاً للقياس فإنما هو مخالف للقياس الذي انعقد في نفسه، وليس مخالفاً للقياس الصحيح الثابت في نفس الأمر، وحيث علمنا أن النص ورد بخلاف قياس، علمنا قطعاً أنه قياس فاسد، بمعنى أنه ليس في الشريعة ما يخالف قياساً صحيحاً، ولكن يرد في الشريعة ما يخالف القياس الفاسد، وإن كان بعض الناس لا يعلم فساد^(٣)، وعلى هذا يعرف ضابط الصحة والفساد في القياس، فالقياس الفاسد هو الذي لا يصح أن يوضع في الدين، فإنه يؤدي إلى مخالفة الشرع^(٤).

والقياس الفاسد من أوسع الأبواب التي يعصى بها أمر الرب، ولذلك هو من أسباب الهلاك في الآخرة، ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٧﴾ إِذْ نَسُوْكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٩٨-٩٧]،

(١) انظر: أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج، تأليف: الشيخ سالم بن حمود بن شامس السيابي السماطي، تحقيق: الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة. (٢٥).

(٢) انظر: مشارق أنوار العقول، تأليف: نور الدين السالمي، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ. (٣٢٢).

(٣) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م (١/٢٩٠).

(٤) انظر: الاعتصام للشاطبي (٢/٢٤١).

« وكل بدعة ومقالة فاسدة في أديان الرسل فأصلها من القياس الفاسد... وما فسد ما فسد من أمر العالم وخرب ما خرب منه إلا بالقياس الفاسد، وأول ذنب عصي الله به القياس الفاسد، وهو الذي جر على آدم وذريته من صاحب هذا القياس ما جر، فأصل شر الدنيا والآخرة جميعه من هذا القياس الفاسد»^(١).

المتأمل في حال الخوارج يجد أنهم بالغوا في استعمال القياس الفاسد، وقد ذكر الشهرستاني المتوفى سنة (٥٤٨) أنهم من أشد الناس قولاً بالقياس^(٢)، فهم أعداء السنن، وصحت فيهم أوصاف أهل السنة لهم بأنهم: أهل الأهواء، وأهل القياس الفاسد، وأهل الابتداع، وأصحاب الرأي المذموم، وقد عارضوا كثيراً من النصوص الشرعية بقياسهم الفاسد، فلما ظهرت شوكتهم وقويت في الأمة جعلوا خيار الأمة ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة جعلوهم مخلدين في النار، بسبب قياسهم الفاسد، وجعلوا عموم الأمة المخالفين لهم مخلدين في النار حالهم كحال الكفار المعاندين الذين لم يؤمنوا بالرسالة أصلاً، ومن تتبع فرق الخوارج عموماً يجد أن القياس الفاسد من أخص سماتهم، فهم يبيحون لأنفسهم استعمال القياس حتى مع ورود النص الواضح الجلي. وقد جاء في كتب القوم والأخبار المنقولة عنهم ما يدل على استعمالهم القياس الفاسد، فعلى سبيل المثال جاء في كتاب مشارق أنوار العقول وهو من كتب الإباضية لما ناقش قول أهل السنة في أن أصحاب الكبائر يخرجون من النار بموجب ما ورد من أدلة صحيحة، بين أن هذه المقولة: «تعارض الأصول القطعية وتضادها، على أنه لا يقاومها، فإن خير الأحاد لا يوجب علماً، وعلى تقدير أنه موجب للعلم فلا يوجب العلم القطعي، بل الظن فقط، ويلزم أرباب هذا القول أن يعذروا بعض من قاتل محمداً ﷺ فإن منهم المجتهدين وليسوا معاندين، وإذا سلموا هذا، لزمهم بأن إرسال الرسل عبث»^(٣)، فنجد أن صاحب الكتاب امتثل القياس الفاسد في تقرير عقيدة مع ورود الأدلة فقايس العصاة بالكفار الذين كانوا حرباً لله ورسوله، كما أن هذا الأمر ظاهر عند منطري خوارج العصر، حتى وإن لم تتوفر آلية القياس عندهم نجد أنهم يتنطعون في استعمال القياس ليبرروا توجهاتهم واجتهاداتهم، وخاصة أن قياس القوم غالباً ما يكون في المسائل الدقيقة في الدين، كالجهاد، والتكفير، وسفك الدماء، والخروج على الحكام، وهي مسائل كبار لا ينبغي أن يتكلم فيها إلا الراسخون من أهل العلم، والقوم مجاهيل في العلم، ولا يعرف لأحدهم شيخ يقتدى به^(٤).

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٧/٢).

(٢) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (١/١١٦).

(٣) مشارق أنوار العقول، للسالمي (١٦١).

(٤) انظر: منهج الاستدلال عند الخوارج في العصر الحاضر عرض ونقد، رسالة ماجستير لإبراهيم المحيميد، إشراف الدكتور: محمد العقيل، ١٤٢٢هـ. (٦١٨).

الخاتمة :

في خاتمة هذه الدراسة لعل القارئ قد وقف على معرفة حقيقة مذهب الخوارج وخطورته، ومدى انحرافه ومفارقته للمنهج الحق، وتبين له أن تنطع الخوارج في استعمال النصوص لا يعني التعظيم لها، ففرق الخوارج تقدم نتائج عقولهم وما تمليه أهواؤهم، فسيطرة العقل والآراء والأفكار البشرية على المناهج المخالفة للحق نتيجة حتمية، وهذا المسلك - وهو تقديم العقل على النص - أول ما ظهر في الأمة كان على يد الخوارج ثم تبناه أهل الكلام وطوروه.

قائمة المصادر

- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- صحيح وضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
- سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م.
- مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥ م
- الاستقامة، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣.
- درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- الاعتصام، المؤلف: إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي، تحقيق ودراسة: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، وآخرون، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧.
- البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المحقق: علي شيري،

- الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي الجزري، عز الدين ابن الأثير، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
 - الثقات لابن حبان، المؤلف: أبو حاتم بن حبان، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
 - الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفي، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
 - الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.
 - في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب، الناشر: دار الشروق، تاريخ الطبعة ١٤٢٣ هـ.
 - انظر: العمدة في إعداد العدة، عبد القادر عبد العزيز، موقع جامع الكتب الإسلامية
 - المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
 - تاريخ الطبري، المؤلف: محمد بن جرير الطبري، وكتاب: صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، الناشر: دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ.
 - تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
 - سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
 - طبقات المشائخ بالمغرب، شيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الديني، حققه وقام بطبعه، إبرام طلائي، الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ.
 - الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية، ابن سلام الإباضي، تحقيق: ر.ف. شفارتز وسالم بن يعقوب، دار إقرأ للنشر والطباعة والتوزيع.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.
- الإيمان الأوسط، المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمية، المحقق: محمود أبو سن، الناشر: دار طيبة للنشر - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.
- الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعطله، المؤلف: شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة.
- الملل والنحل، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي.
- طلعة الشمس شرح شمس الأصول، نور الدين السالمي، الناشر: دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، تاريخ النشر ٢٠١٢.
- الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية، المؤلف: غالب عواجي، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المؤلف: أبو الحسن الأشعري، المحقق: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، المؤلف: ناصر العقل، النشر دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- الحق الدامغ، المؤلف أحمد الخليلي، الناشر: بدون، تاريخ النشر، ١٤٠٩هـ.
- أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج، تأليف: الشيخ سالم بن حمود بن شامس السيابي السمائلي، تحقيق: الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة.

